الفصل الثالث

جغرافيا البحار والمحيطات (الأوقيانوغرافيا) فى القرآن الكريم

- مقارنة بين حقائق ومعطيات جغرافيا البحار والمحيطات ببعض الآيات القرآنية الكريمة .
- كشفت بعض الآيات القرآنية الكريمة عن طبيعة الإنسان .
- بعض الدروس المستفادة من جغرافيا البحار والمحيطات فى القرآن الكريم .
- أمثلة لإدخال الآيات القرآنية الكريمة المتعلقة بجغرافيا البحار والمحيطات فى المناهج الدراسية .

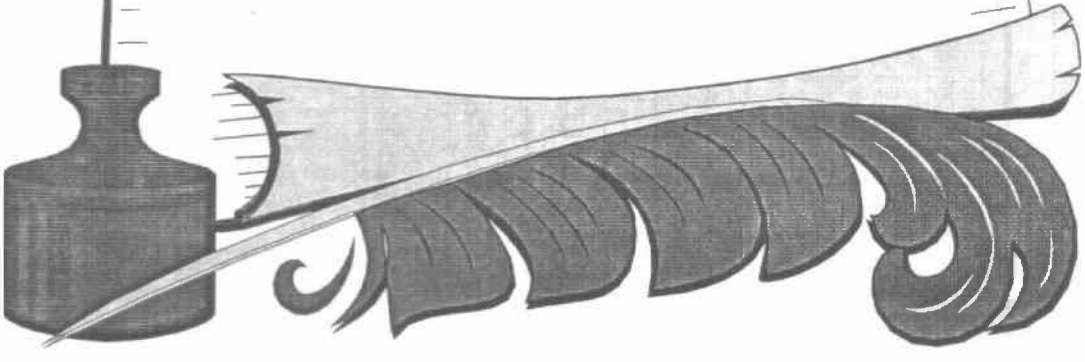

إعجاز جغرافيا البحار والمحيطات « الأوقيانوغرافيا » فى القرآن الكريم

تتكون « الأوقيانوغرافيا » (Oceanosgraphas) جغرافيا البحار والمحيطات من كلمتين إغريقيتين هما (أوقيانوس Oceanass) وتعنى البحر المحيط الذى يحيط بالأرض، (غرافوس Graphas) تعنى الوصف، وعلى ذلك تكون كلمة « أوقيانوغرافيا » هى وصف البحر المحيط، ويسود استخدام هذا المصطلح فى كثير من المدارس الجغرافية الأمريكية الحديثة .

ويهتم علم « الأوقيانوغرافيا » بدراسة المسطحات المائية من حيث (المساحة، الأعماق، الحرارة الضغط، الكثافة، الملوحة، مدى تغلغل الضوء، الأمواج، التيارات البحرية، التعرية البحرية، قيعان البحار والمحيطات، كائنات البحار والمحيطات من أسماك ونباتات وحيوانات بحرية) .

ولنقارن حقائق ومعطيات علم « الأوقيانوغرافيا » بتلك التى نجدها فى كثير من الآيات القرآنية سنلاحظ وجود توافق رائع بين الاثنين مما يساعد على إحداث التكامل بينهما على النحو التالى :

قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ

مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [يونس : ٢٢] .

وتعرض آيات القرآن الكريم لوحة حافلة بالحياة مليئة بالانفعالات، هى صورة سفينة، تسير ريح طيبة يفرح بها الناس، ثم فاجأهم موقف خطير يحتوى على الريح العاصفة والأمواج العالية واشتد الخطر . فى هذه الشدة لا يلجأ الإنسان إلا إلى الله سبحانه وتعالى، مخلصًا له الدعاء متضرعًا إليه فى البأساء، قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمًا طَرِيًّا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةً تَلۡبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النحل : ١٤] .

امتن الله على عباده بتسخير البحر بأمواجه، ومن البحر تستخرج السمك لحمًا طريًا مستساغًا من الماء المالح، وتستخرج الحلية بأنواعها كاللؤلؤ والمرجان، و« ترى الفلك مواخر فيه » غمر الماء، أى تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة من بلد إلى آخر، « ولتبتغوا من فضله » أى ولتطلبوا فضل الله ورزقه . « ولعلكم تشكرون » ربكم على ما أنعم به عليكم .

قال تعالى : ﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزۡجِى لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِى ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمًا ۝٦٦ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ۝٦٧﴾ [الإسراء : ٦٦/ ٦٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ﴾ [لقمان : ٣٢] .

وفى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِى خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِى تَجۡرِى فِى ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ [البقرة : ١٦٤] .

والفلك اسم للسفينة الواحدة وللكثير، والإعجاز فى هذه الآية الكريمة يحتاج إلى دراسة طبيعة الماء ودراسة طبيعة الهواء والرياح والبحار وغير ذلك من الظاهرات الجغرافية التى تؤثر فى سير السفن الصغيرة والضخمة العملاقة فى أيامنا

هذه، والسفن تحمل الناس والموارد المعدنية والحيوانية والزراعية والصناعية وناقلات البترول الضخمة من قارة إلى قارة، فتنتفع البشرية كلها بخيرات الكرة الأرضية التى أوجدها الله سبحانه وتعالى .

الله سبحانه وتعالى يجرى لكم السفن فى البحر من إقليم إلى آخر، ولتطلبوا الرياح بالبخار ولتنقلوا من منطقة إلى أخرى، ابتغاء الرزق أو السياحة، حيث سهل لكم أسباب ذلك، والشعور بقدرته تعالى فى البحر أشد حساسية، حيث تصبح السفن فى البحر قطعة من الخشب تتقاذفها أمواج البحار، والناس متشبثون بهذه القطعة الصغيرة حتى الناقلات الضخمة تبدو فى بعض الأحيان كالريشة فى مهب الرياح . وهنا يتجه الناس إلى الله وحده فى لحظة الخطر . لا يدعون أحدًا سواه (فلما نجاكم) من الغرق وأجاب دعاءكم عدتم إلى ما كنتم عليه وجحدتم فضل الله عليكم .

كشفت هذه الآيات عن طبيعة الإنسان وهى: الالتجاء إلى الله فى الشدة والإعراض عن الله فى النعم .

دليل من دلائل الألوهية، وهو الالتجاء إلى الله فى الشدة ودعاؤه عند الاضطرار ويتجه المعرض عن الله إلى الله، وأثناء الخطر لا ينبغى إلا باب الالتجاء إلى الرحمن .

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [الفرقان : ٥٣]

الله سبحانه وتعالى جعلهما متجاورين هذا شديد العذوبة وهذا شديد الملوحة وجعل بينهما حاجزًا لا يختلط أحدهما بالآخر فلا يختلطان ولا يمتزجان، فمعظم مجارى الأنهار غالبًا أعلى من سطح البحر لا يطغى البحر وهو أضخم وأغزر على النهر فبإرادة الخالق الذى أنشأ هذا الكون .

ولا تطغى مياه البحار والمحيطات المالحة، لا على الأنهار ولا على اليابسة حتى فى حالات المد والجزر، التى تحدث من جاذبية القمر للماء الذى على سطح الأرض، ويظهر لنا كل شىء منتظمًا .

قال تعالى :﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾[لقمان : ٣١] .

إن الله هو الذى سخر البحر، وسخر الهواء لسير السفن فى البحار والمحيطات، ولو اختلت كثافة الماء، أو اختلت نسبة ضغط الهواء على سطح البحر، أو اختلت التيارات المائية أو اختلت درجة الحرارة ... أو اختلت نسبة واحدة أى اختلال ما جرت الفلك فى الماء . قال عليه الصلاة والسلام « الإيمان نصفان : نصف صبر ونصف شكر »، قال الشعبى : الصبر نصف الإيمان والشكر نصف الإيمان واليقين الإيمان كله، ألم تر إلى قوله تعالى : « إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور » .

قال تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[فاطر: ١٢] .

خلق الله الأنهار تنساب بين الناس يشرب منها الإنسان والحيوان والطير وينبت النبات وماء الأنهار عذب فرات، وخلق الله البحار ماؤها شديد الملوحة، ومع ذلك فالبحار يستخرج منها اللحم الطرى هو الأسماك والحيوانات البحرية المتنوعة والحلية من اللؤلؤ والمرجان . وترى السفن تمخر الماء أى تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة « لتبتغوا من فضله » بالسفر والتجارة والانتفاع بكل أنواع الحيوانات البحرية فتشكرون من سخر لكم السفن لتجرى فى البحار بأمره وسخر لكم الأنهار .

الدروس المستفادة :

- لو كانت مياه البحار والمحيطات عذبة لتعذرت الحياة على سطح الكرة الأرضية، حيث أن الملح هو الذى يساعد على منع التعفن والفساد .

- كشف بعض الآيات القرآنية عن طبيعة الإنسان، وهى الالتجاء إلى الله فى الشدة والإعراض عنه فى الرخاء .

والسؤال الذى يمكن أن يدور الآن فى ذهن القارئ بعد قراءة هذا الفصل هو كيف يمكن إدخال الآيات القرآنية الكريمة المتعلقة بجغرافيا البحار ... فى مناهجنا الدراسية ؟

وإليك عزيزى القارئ الإجابة .

أمثلة لإدخال الآيات القرآنية المتعلقة بجغرافيا البحار والمحيطات فى المناهج الدراسية :

سوف نتناول فى هذا الجزء بعض المفاهيم الرئيسية فى مجال ظواهر جغرافيا البحار والمحيطات فى القرآن الكريم، ونوضح كيف يمكن لخبراء المناهج معالجتها بالمراحل التعليمية المختلفة . ونود أن نؤكد أيضًا إلى أن اختيار هذه المفاهيم إنما هو مجرد أمثلة فحسب للمفاهيم الرئيسية .

ولعله من المناسب أن تهتم المناهج فى صفوف المرحلة الابتدائية، ببيان تعرض آيات القرآن الكريم بالحياة المليئة بالانفعالات ـ صورة سفينة تسير بالرياح ـ كما تعنى ببيان أن الله امتن على عباده بتسخير البحر بأمواجه، ومن البحر تستخرج السمك والملح واللؤلؤ والمرجان .

وبانتقال التلميذ إلى المرحلة الإعدادية، يمكن أن تعمق المناهج الحالية من فهمه لمفاهيم ظواهر جغرافيا البحار والمحيطات بالقرآن الكريم كما وردت بهذا الفصل . وبدخول التلميذ المرحلة الثانوية، يمكن أن توسع المناهج الحالية من إدراك الطالب لحقائق ومفاهيم جغرافيا البحار والمحيطات بتلك التى نجدها فى كثير من الآيات القرآنية الكريمة، وأن تعرفه ببعض دلائل الألوهية، وأن المفاهيم التى وردت بجغرافيا البحار والمحيطات قد وردت وأكدت عليها آيات القرآن الكريم .